Institut méditerranéen
RM2E - Revue de la Méditerranée
Edition électronique

Villes et campagnes dans l'émirat de Tlemcen au Moyen Âge

Université de Tlemcen 6-8 novembre 2017

Tassili 15MDU946 *Histarchéotlemcen*,
MEAE-MESR (France), MESRS (Algérie)

textes édités par
Agnès Charpentier et Michel Terrasse

Numéro spécial
Tome VI.1 - Année 2019
ISSN : 2274-9608

pour citer cet article :

Bouzidi Tani, Soufiane, « Les monuments mérinides de la ville d'Oujda (Maroc) », *RM2E - Revue de la Méditerranée édition électronique*, Tome VI. 1, 2019, p. 3-13.

éditeur : Institut méditerranéen (http://www.inmedi.org)

url : http://www.revuedelamediterranee.org/index_htm_files/ Bouzidi Tani-VI-2_2019.pdf

Les opinions exprimées dans les articles publiés par la *RM2E* n'engagent que leurs auteurs.

Pour contacter la revue
secrétariat de rédaction : redaction@revuedelamediterranee.org

ISSN : 2274-9608

publié en février 2019

© Institut méditerranéen

LES MONUMENTS MÉRINIDES DE LA VILLE D'OUJDA (MAROC)

Soufiane BOUZIDI TANI

Université de Tlemcen

PMDE - Revue de la Méditerranée

الموقع الجغرافي لمدينة وجدة

شيّدت مدينة وجدة على سهل فسيح وعلى بُعد نحو 40 كل ممن ساحل البحر وهي مسافة تقارب لتلك التي تفصلها عن تلمسان، فهي تحاذي غربا مفازة أنكاد، ذات إنتاج غزير فلاحيا وحيوانيا.تضم منطقة وجدة مجموعة من الأقاليم من بينها بركان تاوريرت وجرادة[1].

يحدها من الشمال سهل أنكاد ومن الجنوب تحيط بها تلال من بينها جبل أورير والحمر وجبل عصفور الذي يفصل بينها وبين منطقة بني سنوس[2].

والمدينة،عبارة عن مدينتين مسورتين الأولى أحدثت قبل الإسلام من قبل فرع بني يفرن عند سيطرتهم على المنطقة، والثانية، أسسها زيري بن عطية المغراوي سنة 384 هـ/ 984م[3].

الصراع الزياني المريني وأثره على المدينة

أدّى سقوط الدولة الموحدية إلى انقسام الغرب الإسلامي إلى دويلات متنافسة، إذ كلّ واحدة منها تدّعي المدينة وجدة موقع متميّز جعلها كهمزة وصل بين مملكتين متصارعتين: مملكتي تلمسان وفاس.إنّها تقع على مسلك تازا المؤدّي حتما إلى حاضرة فاس (أنظر الخريطة رقم 01)، وهو الأمر الذي جعلها تكون مستهدفة عند كل حركة للجند المريني، إذْ تعرضت مرارا للتخريب. لقد خرّبها أوّل مرّة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني،وأعاد خلَفه، السلطان يوسف بن يعقوب عمارتها سنة 696هـ/1298م، إذْ تَذْكر المصادر تشييده لقصبة ودار وحمام ومسجد.وقُبيل حصاره لمدينة تلمسان 735 هـ /1335م،حطّم أبو الحسن علي أسوارها.

الخريطة رقم 01 طريق تازا رابط بين تلمسان وفاس

1 Gilles S., « Oujda ou l'arrière-pays », p. 171.
2 Gilles S., *op.cit*., p. 171.
3 أحمد الناصري، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول١**، ص269

ومتحضرين وشجعان، لكنها نُهبت ودمرت أثناء الحروب المتوالية بين ملوك فاس وتلمسان، حيث كانت منحازة لهؤلا.

إنّنا نسعى من خلال هذه الدراسة إبراز مدي تأثير العمارة التلمسانية على المعالم الموجودة بمدينة وجدة، وعلى وجه الخصوص تأثيرها في تصميم الجامع والحمام والمدرسة.

هذا ومن الأسباب التي جعلتنا نختار هذه الموضوع هو نقص البحوث حول المعالم المرينية بمدينة وجدة باستثناء تقرير هنري سلادين[3].

الجامع الكبير بمدينة وجدة

يقع جامع الأعظم خارج أسوار القصبة القديمة من الناحية الشمالية الغربية،(أنظر مخطط رقم 02)، يحده من الجهة الجنوبية الشرقية الحمام القديم ومن الجهة الشمالية الشرقية المدرسة المرينية.يذكر بن أبي زرع أن الجامع يعود بناؤه إلى فترة السلطان أبى يعقوب أي إلى سنة 696هـ/،1296م حيث أعاد بناء المدينة التي دمرها والده[4]، وفي سنة 1880م صُنع منبر جديد للجامع[5] ويمكن أن يكون قد طرأت عليه بعض الإصلاحات.

نلج المسجد عبر زنقة الحمام القديم وزنقة أولاد عيسى وزنقة جامع الكبير.

لقد عرف هذا الجامع زيادات في سنة 1934م[6] حيث أضيف إليه أربع بلاطات من الجهة الشمالية الشرقية، وأضيف المحراب جديد خماسي الأضلاع، وبنيت قبة ثمانية الأضلاع مزينة بزخارف متنوعة تتقدم جدار

3 Saladin H, *Les monuments d'Oujda*, p. 225-243.
4 ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**،ص266
5 Voinot L., *Oujda et l'amalat*, p. 65.
3 بدر المقري،**مساجد وجدة العتيقة**،ص ٥٣

مشروعيتها في تسيير أمور المنطقة، فاحتدم الصراع العسكري سيما بين الزيانيين والمرينيين، أبناء العمومة إذْ يرجع نسبهما إلى جدّ واحد هو واسين وهو فرع هام من قبيلة زناتة. فاتخذت الدولة الزيانية من تلمسان عاصمة لمملكتها، واصطفت الدولة المرينيةفاسا مقر حكمها.

تخبرنا المصادر أنّ الصراع بين عبد الواد وبني مرين موجود منذ أن كانت هاتان المجموعتين مجرد عشائر تجوب بقطعانها المنطقة السهبية. ولما دبّ الضعف في الدولة الموحدية، تمكّنت هذه الكيانات من الاستقلال بأجزاء من رقعة الدولة الأُمّ. وإنْ فازت قبيلة بني عبد الواد بمنطقة تلمسان وضواحيها، تمكّن المرينيون من فرض سلطانهم على المنطقة الموجودة غرب وادي ملوية. ومع إخضاعها لباقي عشائر المغرب الأقصى صارت عصبيتهم أقوي عصبية بالمنطقة. وعليه تمكنوا من فرض هيمنتهم فرجحت الكفة لصالحهم في كل المعارك تقريبا. وأول معركة جرت بين هاتين الدولتين تلك التي جرت بوادي اسلي من ناحية وجدة في سنة 655 هـ/1255، حيث انهزم فيها يغمراسن[1].

وعليها اتخذها سلاطين الزيانيين كحصن متقدّم يعدّ كمدخل لعاصمة الزيانيين تلمسان. ويذكر بن أبي زرع مؤرخ الدولة المرينية أن تاوريرت كانت الحد الفاصل بين الدولتين الذي كان نصفه للزيانيين والآخر للمرنيين[2].

أدى هذا الصراع إلى تدهور المدينة سواء من الناحية العمرانية أو الثقافية وهذا يؤكده حسان الوزان إذ ذكر»كانت أسوارها في القديم متينة عالية جدا، ودورها ودكاكينها متقنة البناء، وسكانها أثرياء

1 عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر** ، **الجزء السابع** ، ص112، 111ص
2 أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب** ، ص.266.

RM2E - Revue de la Méditerranée

المتواجد في الجهة الشمالية الشرقية وهو عبارة عن مدخل مقوس بعقد منكسر متجاوز مؤطر، يعلوه إفريزان يشكلان ظلة حجرية(أنظر الصورة رقم 06.)

أما المدخل الثانوي للجامع فهو بسيط الشكل يعلوه عقد صغير الحجم.

عند معاينة المخطط القديم للجامع، نلاحظ أن المسجد يحتوي على صحنين: أحدهما في الجهة الشمالية الغربية، والثاني في الجهة الشمالية الشرقية.

تقع الميضأة القديمة قرب المسجد من الناحية الشمالية الشرقية.

يحتوي بيت الصلاة على ثلاثة مداخل.

يقابل المدخل الرئيسي المحراب وهو بسيطَ الشكل، يعلوه عقد نصف دائري متجاوز مؤطر بظلة حجرية وهو خالٍ من الزخرفة(أنظر الصورة رقم 07)؛ويتواجد المدخل الثاني في الجهة الشمالية الشرقية وهو عبارة عن قوس منكسر متجاوز يزينه عقدان مفصصان يتداخلان فيما بينهما ويعلوهما إطار.وتُزين الفضاء بين العقد والإطار مجموعة من الزخارف النباتية الملساء.

كما يوجد مدخلان ثانويان في الجهة الجنوبية الغربية شكلها بسيط، يعلوهما عقد نصف دائري منكسر أحدهما مزين بعقد مفصص(أنظر الصورة رقم 08).

جاء تخطيط بيت الصلاة عرضا، وهي تحتوي على عشر بوائك عمودية على جدار القبلة،وخلف جدار المحراب غرفة الإمام نلج إليها عبر مدخل يقع على يسار المحراب عرضه1.04 م.

وأول ما نلاحظه في تخطيط بيت الصلاة هو الشبه الكبير بالمساجد المرابطية بمخططه يمتد بشكل عرضي إذ يبلغ العرض بيت الصلاة حوالي 37.63م وعمقه حولي 17.8٠م،عكس النظام المتبع في المساجد

Fig. 3. — Oudjda (Maroc). Plan de la Kasba.

المخطط رقم 02 القصبة وجدة عن Henri Saladin بتصرف

المحراب وهي تقوم على قاعدة مربعة تحملها مجموعة من العقود المسننة، مع إضافة بيت الإمام خلف جدار المحراب، وفي الجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة، تمّت زيادة أسكب، تحاذيه مدرسة قرآنية بمخطط غير منتظم. وهي تتكون من صحن يحيط به قاعة كبيرة تستعمل للتدريس وكالبيت الصلاة ورواق يؤدي إلى الطابق الأول يقع في الجهة الشرقية.

كما يوجد خلف جدار المحراب ضريح يحتوي على قاعتين تعلو الغرفة الأولى قبة والثانية مخصصة للدفن.

وبهذا صار يحتوي الجامع إذًا على صحن واحد تحيط به أربع مجنبات أكبرها مجنبة بيت الصلاة التي تتكون من أربع عشر بلاطة عمودية على جدار المحراب وتضاعف عدد المداخل.(المخطط رقم 04-03)

دراسة وصفية تحليلية لمخطط الجامع قبل الزيادات أنظر مخطط (رقم 05)

كان الجامع يتكون من مدخلين: الباب الرئيسي

RM2E - Revue de la Méditerranée

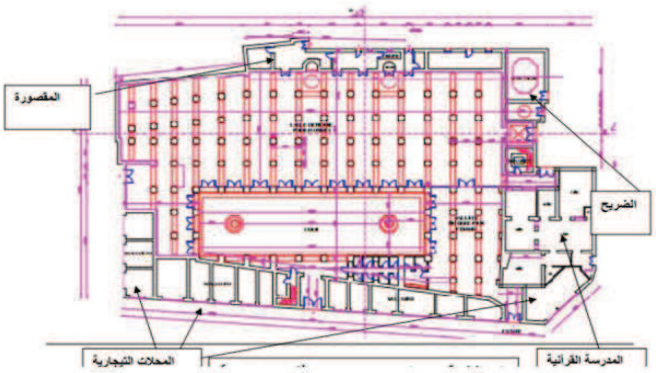

مخطط رقم 03 جامع الكبير بوجدة مع جميع مرافقه
عن مديرية المساجد رباط بتصرف

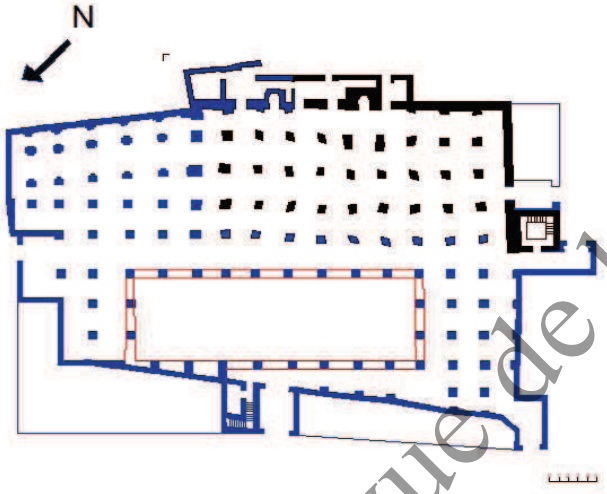

مخطط رقم 04 جامع كبير بوجدة بعد زيادات في بيت
الصلاة من إعداد الطالب.

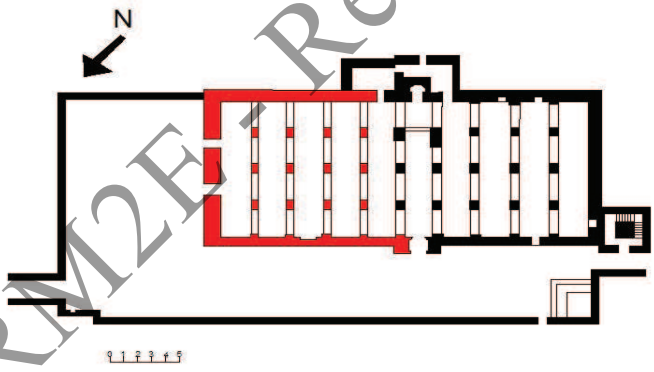

المخطط رقم 05 جامع الكبير بوجدة في سنة 1934
Henri saladin بتصرف

RM2E - Revue de la Méditerranée

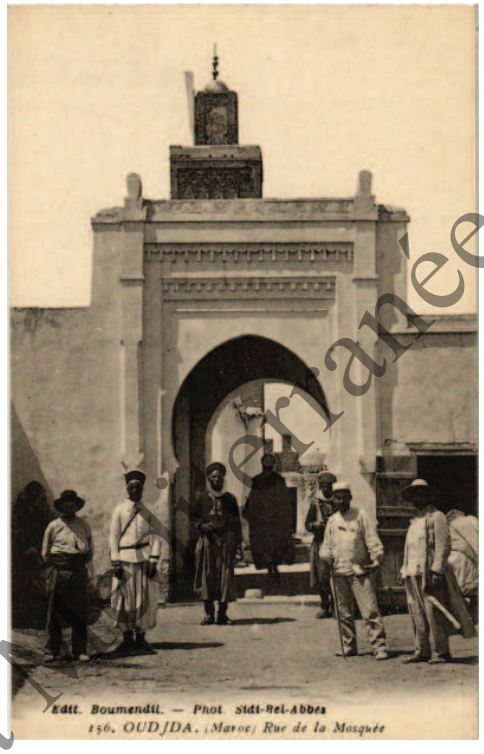

الصورة رقم 06 المدخل الرئيسي للجامع الكبير بوجدة Bader Maqri

الصورة رقم 07 المداخل الرئيسي لبيت الصلاة عن Bader Maqri

الصورة رقم 08 المداخل الثانوي لبيت الصلاة عن L Voinot

RM2E - Revue de la Méditerranée

نفس نمط العقود هو مسجد الكبير بتازا ، إذ من خلال تحليلنا لعقود الزيادات المرينية في هذا المسجد نجدها تتبع نفس نمط عقود مسجد الكبير بوجدة(أنظر شكل رقم 11).

الجدول يوضح قياسات العقود فرق بين الارتفاع الدعامات والعقود

اسم المسجد	ارتفاع الدعامة	ارتفاع العقد	فرق بينهما
مسجد الكبير بوجدة نمط 01	11	16	0.68
مسجد الكبير بوجدة نمط 02	23	23	0.82
مسجد الكبير بتازا	15	20	0.75

الصحن: للمسجد صحنان، الأول متواجد في الجهة الشمالية الغربية يمتد بطول بيت الصلاة، نلج إليه عبر المدخل الموجود في الجهة الشمالية الشرقية، والثاني يقع في الجهة الشمالية الغربية. يحتوي الصحن الثاني على عنزة.

المحراب الأصلي للجامع يتوسط الجدار الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة مقابلا للبلاطة الخامسة، مفتوحا بعقد نصف دائري متجاوز مؤطر. يقوم على عمودين مدمجين بالجدار يبلغ قطرهما ما بين 0.10 م و0.14 م يرتفعان عن أرضية المسجد بـــ 1.46م وهما متوجتان بتيجان كوراثية حديثة. يبلغ عرض عقد المحراب 1.22م أما عمقه 1.60م، شكله خماسي الأضلاع، تعلوه قبة مقرنصة ثمانية الأضلاع ترتفع عن سطح الأرض بـــ 3.74م، تحملها مجموعة من العقود النصف دائرية، التي بدورها ترتكز على مجموعة من العقود المفصص المصمتة، يزين المحراب عقد مفصص يليه عقد مشكل من مجموعة من الأقواس نصف الدائرية تتداخل فيما المرينية سواء بفاس أوتلمسان حيث أنها تمتد بشكل طولي عمقها أكبر من عرضها،والبلاطة الوسطى هي أكثر عرضا من الأخريات.لا تصل البوائك إلى جدار المحراب مشكلة حرفT.

يتكون بيت الصلاة من

عشر بلاطات عمودية على جدار المحراب يبلغ عرضها ما بين 2.50 م و2.58م، ما عدا البلاطة الوسطى التي جاء عرضها ٣٦,٢م

وخمس أساكب موازية على جدار المحراب يتراوح عرضها مابين 2.63م و2.82م.

جاءت القياسات التي وردت في تقرير هنري سلادين[1] مختلفة عن الرفع الحالي إذ ذكر أن جميع البلاطات قياسها 2.5٠م. وربما يرجع هذا الاختلاف للتغييرات التي حدثت للجامع منذ تأسيسه إلى الآن.

ذكر هنري سلادين[2] أن العقود التي تحمل بوائك الجهة الشمالية الشرقية شكلها نصف دائري متجاوز وهي قليلة الانخفاض وهذا راجع لإعادة بنائها. أما العقود الوسطى والشمالية الشرقية جاءت منكسرة متجاوزة. كما أنّ العقد الذي يسبق المحراب شكله شبيه بالعقد المقرنص، يطلق عليه اسمarc à lambrequinالذي يزينه صف من أوراق الأكانتس.

شكل العقود حاليا، منكسر متجاوز إذ حسب تحليلينا لنظام العقود نجد أن لبناء العقد اعتمد مهندسين علي نقطتين مرجعيتين من أجل بناء القوس العقد، وكذلك نلاحظ أن ارتفاع العقد أكثر من ارتفاع الدعامتين (شكل رقم 09-10)، ومن أبرز نماذج التي اتبع فيها المرينيون

1 Saladin H, *Les monuments d'Oujda*,.p. 234
2 Saladin H., *op cit*., p. 234

RM2E - Revue de la Méditerranée

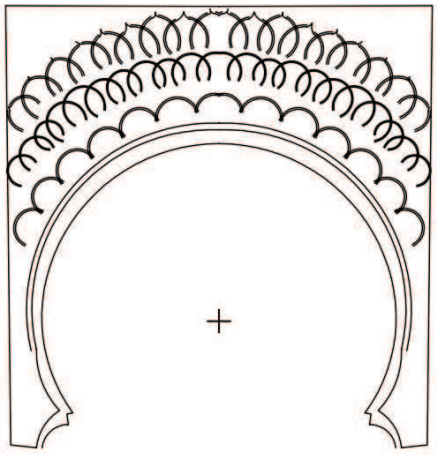

الشكل رقم 09: الزخارف التي تعلوا عقد المحراب جامع وجدة من إعداد الطالب.

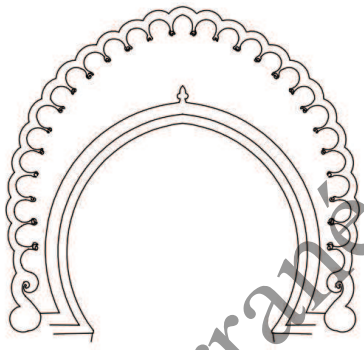

الشكل رقم 10: الزخارف التي تعلوا عقد المحراب جامع تينملمن إعداد الطالب.

يفصل بين الإفريزين إطار مزخرف بزهرة سداسية البتلات. يحتوي هذان الشريطان على قوله تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) تليها الآية (فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة،128 و129).ومما يلاحظ، أن الخط الكوفي المستخدم يحتوي على زوايا في نهايته ويسمى الخط الكوفي المزوي. يلي هذه النقوش الكتابية شريطان عموديان على يمين ويسار المحراب وهما مزينان بمجموعة من المعينات التي تتخللها زخارف نباتية. ينتهي هذان الإفريزان بزخارف كتابية تحتوي على عبارة «لا اله إلا الله» بالخط الكوفي. ويعلو هذه الأشرطة شمسيتان تحيط بهما مجموعة من الأفاريز التي تزينها زخارف نباتية تنتهي بعبارة «لا إله إلا الله.» ويلاحظ أن جدار المحراب قد زخرف كاملا بما في ذلك قاعدة القبة ذاتها.

يمكن أن تكون طريقة زخرفة محراب الجامع الكبير بينها مكونة معينات نصف دائرية محصورة في إطار، وتزين البنيقتين مجموعة من الزخارف النباتية. يلي إطار المحراب، شريط كتابي يحيط بالجهات لتربيعة القوسنفّذ بخط الثلث المغربي،يتضمّن العبارات الآتية:

كتب على الشريط الأيمن:(أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

وعلى الشريط العلوي به العبارات التالية» (وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا).

أما الشريط الأيسر فيحتوي على قوله تعالي:»(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ)(سورة النور الآية 36)، نقشت هذه الآيات على شريط ذي خلفية نباتية بها مراوح نخيلية بأشكال متنوّعة.

ثمّ يلي هذا الشريط إفريز مزخرف بأوراق الأكانتس، ويعلوه إفريزان منقوشان بالخط الكوفي.

RM2E - Revue de la Méditerranée

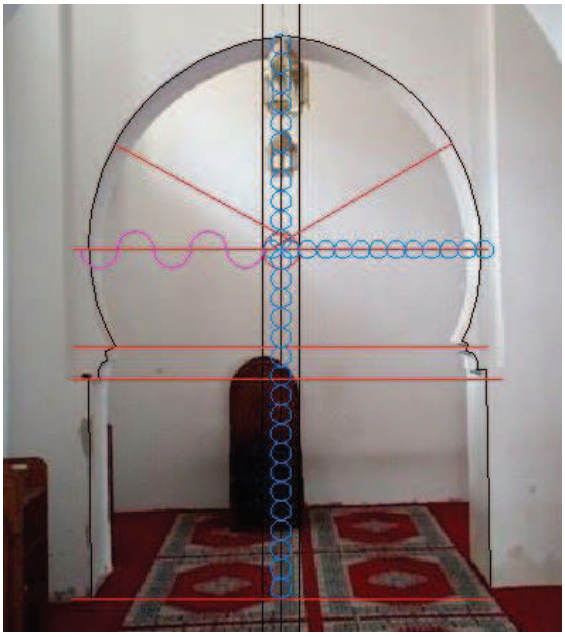

الشكل رقم 11 عقد مسجد الكبير بوجدة نمط الاول طريقة تحليلي العقد من إعداد الطالب

االشكل رقم 12 عقد مسجد الكبير بوجدة نمط الثاني طريقة تحليلي العقد من إعداد الطالب.

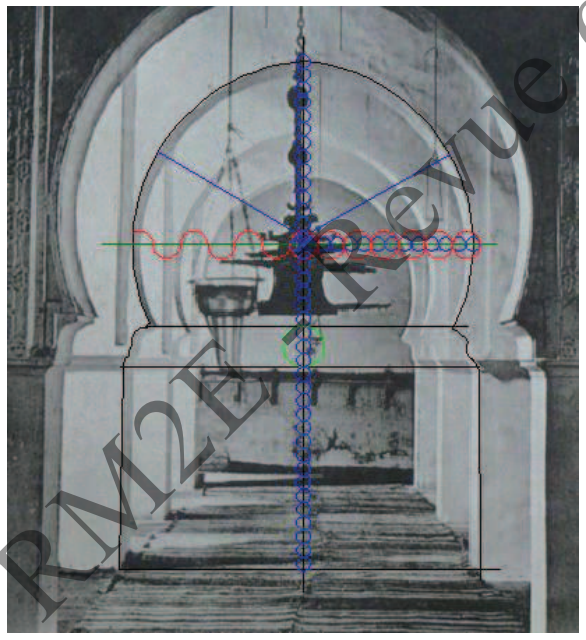

الشكل رقم 13 عقد مسجد الكبير بتازا طريقة تحليلي العقد من إعداد الطالب

RM2E Revue de la Méditerranée

يتراوح أعدادها في كل رواق سبع درجات عرضها 0.38م،طولها0.75م، ترتفع ما بين 0.20م بالنسبة للدرجات الخمس الموجودة في الرواق الأول، و0.17م ، لباقي الدرجات يلتف درج حول نواة مربعة تتراوح قياساته ما بين 1.93 م و1.96م، نلاحظ وجود غرفة المؤذن قبل الصعود للشرفة، مخططها مستطيل الشكل آخر جدارها مفتوح حيث يمكن من خلالها مراقبة الأشخاص القادمين من الأسفل، والشرفة نلج إليها عبر مدخل مقوس يبلغ عرضه 0.79 م وإرتفاعه 1.52 م، حاليا جدران الشرفة قد زودت بطبقات من الإسمنت ما نلاحظه في الجوسق أنه غير مفتوح، حيث قبل الوصول إلى الشرفة نجد سلم آخر يؤدي إلى وسط الجوسق الذي يحتوي على طبقة من الحجارة تعلوه قبة جصية ثمانية الأضلاع يتراوح طول أضلاعها ما بين 0.97 م و0.92 م، ولأول مرة استخدمت هذه الطريقة للولوج إلى غرفة الجوسق.

استخدم الأجر والحجارة في بناء أساس البدن ونواة المئذنة، حيث استعمل صفين من الأجر الذي يبلغ سمكه 0.03 م وعرضه 0.12م وطوله ما بين 0.22 م و0.24م، وصف من الحجارة التي يتراوح سمكها ما بين 0.22سم و0.24سم، لكن في الجهة العليا للبدن والنواة استكمل بناءها بالأجر، هذه الطريقة في البناء لم نجدها سابقا في المآذن المرينية والزيانية في تلمسان، لكن سبق ولاحظناها في قنطرة مدينة منصورة ومئذنة العباد السفلي بتلمسان، لبست الطبقة الداخلية للمئذنة بطبقة ثانية من الأجر،هذه الطريقة في استعمال الأجر للتلبيس وبناء المآذن قد تبناها الزيانيون، إذا لاحظنا المآذن الزيانية.

فنجد أنها لبست بالأجر عكس المرنيين نجد أنهم لم يتبعوا نمط محدد في البناء خصوصا إذا قمنا بأخذ بوجدة (أنظر شكل رقم 12)،طريقة محلية تتخلله بعض التأثيرات المرابطية تكمن في استعمال الخط الكوفي والقبة المقرنصة التي تعلو المحراب.أمّا التأثيرات الموحدية فتكمن في استعمال العقد المفصص الذي يزين محراب تينمل(أنظر الشكل رقم 13) واستخدام شريطين من المعينات،

أما البصمة المرينية فتمثلت في استعمال خط الثلث المغربي في تزيين عقد المحراب وقد سبق واستعمل هذا النوع من الخط في محراب جامع تازا الذي بني في العهد المريني.

المئذنة: شيدت بعد الجامع إذ توجد كتابة تأسيسية في الواجهة الغربية الشمالية منقوشة على قطع خزفية طولها 1.39م من العبارة الأولى إلى الثانية وسمكها 0.07م.

نقش على القطعة الأولى عبارة» أسس بناها» ثم فراغ ثم القطعة الثانية كتب عليها»عام سبعة عـــ»،حسب هنري سلادين[1] يرجع تاريخ بنائها إلى سنة 717ه أي بعد مرور 21 سنة على بناء الجامع(أي في عهد الزيانيين لذا لم يوجد اسم المشيد).

تتكون هذه المئذنة من بدن طول ضلعه ما بين 4.58م و4.60م وجوسق. ارتفاعه من سطح المسجد إلى الأعلى يقدر بـــ14.92م، إذ أن المئذنة تقع حاليا فوق الجدار الجنوبي الغربي للجامع، سابقا لم تكن قاعدتها متواجد في السطح بل كانت فوق الأرض، يبلغ ارتفاعها من الأرض إلى أعلى البدن 19.94م. الجوسق شكله شبه مربع يتراوح طول أضلاعه مابين 2.18م و2.22م. أما ارتفاعه يقدر بـــ4.92م مغطى بقبة دائرية تعلوها ثلاث تفافيح.

نلج إلى شرفة المئذنة عن طريق 84 درجة

1 Saladin H, *Les monuments d'Oujda*, p. 234.

RM2E - Revue de la Méditerranée

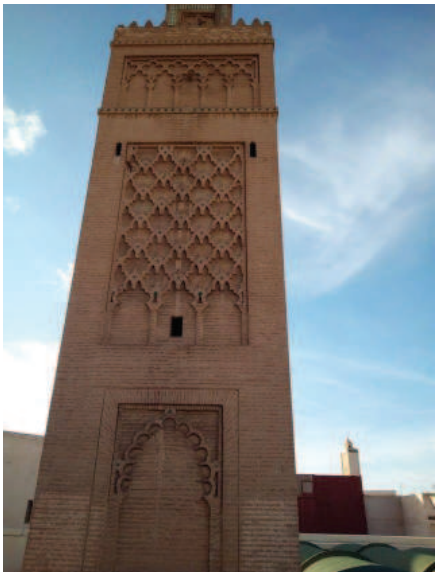

الصورة رقم 14 :واجهة الشمالية الغربية للمئذنة وجدة من إعداد الطالب.

الصورة رقم 15 الواجهة الجنوبية الغربية للمئذنة من إعداد الطالب.

أما الغربية والشمالية الشرقية نجد نفس ترتيب مع اختلاف الزخارف أنظر الصورة، وزين الجزء السفلي بعقد شبيه بالمقرنص arc à lambrequinمؤطر، يعلوه مجموعة من المعينات ذات فص واحد تقوم على بائكة من العقود ثلاثية الفصوص هذه المعينات محصورة داخل إطار، أما بالنسبة للجزء العلوي فقد زين بنفس طريقة الواجهة الشمالية الغربية، يعلو واجهات المئذنة مجموعة من الشرفات يبلغ عددها في كل واجهة تسع شرفات مبنية بالطين شكلها غير منتظم. كما زيّن الجوسق بعقد ذو سبع فصوص يتشكل من تداخل عقدين محصورين في إطار يحيط به إفريز من الزليج ذو لونين الأخضر قاتم وأبيض، تحتوي المئذنة على جذع خشبي يحتوي في أعلاه على مصباح يستعمل للإنارة، وقد عهدنا في المآذن المرينية تزيين الجوسق بمجموعة من المعينات تتخللها بعض المراوح النخيلية مصنوعة من الزليج،لكن في مئذنة جامع نموذجين قبل سنة 717ه وهما مئذنة جامع الكبير بفاس بنيت بالأجر المشوي، ونموذج ثاني مئذنة المنصورة التي بنيت بالحجارة.

بالنسبة لزخارف واجهات المئذنة فنجد أنها قسمة إلى ثلاث طبقات (انظر الصورة رقم 15 –14)فالواجهات الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية فقد تم تزيين الجزء السفلي من البدن بعقد مفصص ذو إحدى عشر فص محصور في إطار يبلغ ارتفاعه 2.82م وعرضه 2.02م ، ثم يليه إطار ثاني أكبر منه حجما تزينه مجموعة من المعينات ذات الفصين تقوم على ثلاث عقود تحتوي على فصين يستعمل للربط بين معينات براعم نباتية ، بالنسبة للجزء العلوي فقد أستعمل لتزيينها صف من العقود خماسية الفصوص تزينها عقود ثلاثية الفصوص محصورة في إطار ، وكذلك الواجهات الجنوبية.

RM2E - Revue de la Méditerranée

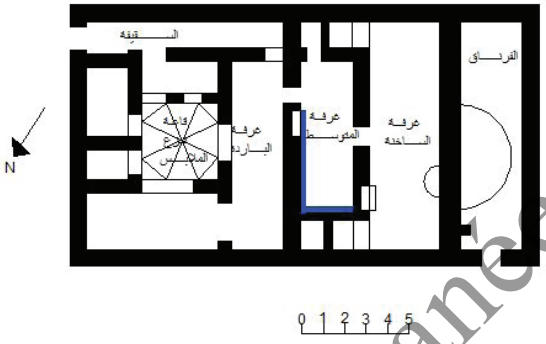

المخطط رقم 16 حمام البالي بمدينة وجدة من إعداد الطالب

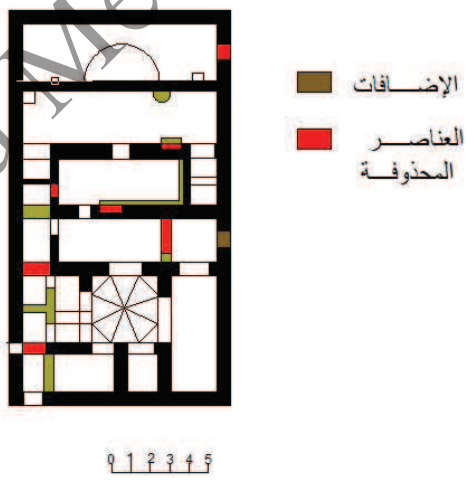

المخطط رقم 17 يوضح تغييرات التي طرأت على الحمام من اعدادالطالب

تتخللها بعض النوافذ مستطيلة. يبلغ طول ضلع هذه الغرفة 3.50م.وهي محاطة تحيط بثلاث قاعات تستعمل للراحة ولتغيير الملابس ›(واحدة في الجهة الشمالية الغربية مستطيلة يبلغ طولها حوالي6.10موعرضها

وجدة نجد أنه لم يتم تزيين الجوسق بالمعينات.

الحمام البالي بوجدة

يذكر ابن أبي زرع أنه يعود إلى فترة السلطان أبي يعقوب في سنة ٦٩٦ه، في إطار إعادة بناء المدينة التي دمرها والده إذ يقول «في سنة ست وتسعين وست مائة غزا أمير المسلمين أبو يعقوب بلاد تلمسان خرج إليها من حضرة فاس فصار حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرهما وشد في قتالها أياما ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة وأمر ببنائها وبنيت وحصنت أسوارها وبنيت فيها قصبة ودارا وحماما ومسجدا».[1] ندرك من خلال النص أن تزامن بناء الحمام بتشييد الجامع .

يقع الحمام البالي بمقربة من المسجد الكبير حيث يفرق بينهما درب يزيد عرضه عن ١م. كما يمكن الولوج إليه عبر زنقة الحمام البالي، وكذلك عبر ساحة المغرب الكبير.وتوجد بعض الدروب الأخرى تؤدي إليه عن طريق الرواق الذي نلج منه إلى المدرسة بساحة العطارين.

دراسة وصفية تحليلية لمخطط الحمام(أنظر المخطط رقم 16)

نلج إلى الحمام عبر مدخل بسيط الشكل، موجود بالجدار الشرقي للحمام تعلوه ظلة حجرية.ومما يلاحظ للوهلة الأولى أنّ مستوى الحمام منخفض على مستوى الطريق بـــ: 1.20ملذا احتاج المصمم إنجاز سلّم حجري الذي ينفتح على غرفة نزع الملابس بعد عبور سقيفة مستطيلة الشكل ذات انكسار نحو اليمين. يبلغ طول السقيفة حوالي4.50 م وعرضها حولي ١م.جاءت غرفة نزع الملابس مربعة الشكل تغطيها قبة ثمانية الأضلاع

1 ابن أبي زرع الفاسي، **روض القرطاس** ،ص266

RM2E - Revue de la Méditerranée

١م ويليه فضاء القاعة الساخنة ذلك لأنّ وظيفة هذه الجدران ليست للفصل فقط بل للعزل الحراري.

أما فيما يخص التغييرات الطارئة (أنظر مخطط رقم 17)، فيذكر أنه في عهد المولي سليمان 1238ه/1822م وفي إطار اهتمامه بالمرافق العمرانية بجميع المدن المغربية أمر بإصلاح الحمام مريني بمدينة وجدة وترميمه، فتم ذلك مع الحفاظ على شكله العام، وإدخال تغيير بسيط على قاعة الاستحمام الأولى الباردة التي فصلت بواسطة بناء حائط.لقد خضع هذا المعلم إلى تغيرات وهي موضحة في المخطط.

إن مخطط هذا الحمام مستطيل الشكل يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، هذا الشكل يعتبر الأول من نوعه في المغرب الإسلامي، وإذا لاحظنا حمام مدينة ندرومة وحمام الصباغين بتلمسان نجد أن مخططهم بني بشكل عرضي عمقهما أصغر من عرضهما وقد بنيا قبل الفترة المرينية، أما حمام مدينة وجدة فقد جاء طوله أكبر من عرضه يبلغ طوله 21.87م وعرضه 11.67م، وكذلك نلاحظ في هذا الحمام أنه قد أنشأت قاعة لنزع ملابس وقاعة باردة للاستحمام وأخرى متوسطة الحرارة وأخرى ساخنة، أما حمام مدينة ندرومة فقد دمجت القاعة الباردة مع قاعة نزع الملابس، ولم توظف فيه الأعمدة والدعامات إذ استعملت جدران القاعة كقاعدة لحمل القبة الثمانية الأضلاع التي تعلو غرفة نزع الملابس، يكمن التشابه في وجود سقيفة منكسرة،وقد لاحظنا هذا الانكسار في حمام مدينة ندرومة، ومن حيث تخطيط القاعات التي جاءت مستطيلة هذا راجع للموقع الذي أسس فيه هذا الحمام حيث يوجد الجامع في الجهة الشمالية الغربية والمساكن المتلاصقة في الجدار الجنوبي والشرقي، أما طريقة نقل الماء فقد استعملت قنوات تمر تحت أرضية 2.35م واثنان في الجهة الجنوبية الشرقية ذات شكل مربع والأخرى مستطيلة).تنخفض أرضية هذه القاعات عن أرضية الغرفة الوسطي بـــ 0.80م وتحتوي إحداهما على صهريج الماء البارد.

نلج إلى الغرفة الباردة عبر مدخلين يعلوهما عقد، غرفة باردة ذات مخطط مستطيل تغطيها أقبية نصف أسطوانية متقاطعة يبلغ طول هذه القاعة حوالي 7م وعرضها 3.5م تحتوي على مدخلين أحدهما متواجد في الجهة الجنوبية الشرقية يؤدي إلى المرحاض، والآخر يوجد في الجدار الجنوبي الغربي يؤدي إلى غرفة معتدلة الحرارة وهي ذات مخطط مستطيل يحيط بها من الجهة الجنوبية الشرقية غرف تستعمل للتخزين المياه، وبها صهريج في الجهة الشمالية الغربية مربع الشكل يربط بينه وبين الفسقية الواقعة في الجدار الشمالي الشرقي أنبوب يستعمل لنقل الماء. قسمت هذه الغرفة إلى قاعتين بجدار بطول قامة إنسان (ربما يكون قد أضيف). يبلغ طول هذه الغرفة ٧م وعرضها 2.5م. بعد عبور الغرفة البارد نصل للقاعة الساخنة طولها ٢١م وعرضها 4م تحتوي على فسقية للماء الساخن وتوجد فتحة (التنفيسة) في أحد جدرانها تطل على الصهريج، ووظيفة هذه الفتحة أنها تنفث بالقاعة الساخنة بخار الماء الذي له دور في زيادة العرق للمستحمّ. تعد القاعة الساخنة أكبر القاعات. يليها ما يسمى بالفرناق. وهو فضاء مغطّى معزول عن الحمام في ذاته،مخصصة لتسخين المياه. يلج إليها عبر مدخل الموجود في بداية الجدار الشمالي الغربي مخططها مستطيل يغطيها قبو نصف أسطواني.

بالإضافة إلى عدم تساوي القاعات من حيث الحجم نشير أيضا إلى اختلاف سمك القاعات يختلف من قاعة إلى أخرى، وعليه فجدار الفرناق يبلغ سمكه حوالي

RM2E - Revue de la Méditerranée

جزء من تاريخ البناء، وإن قمنا بمقارنتها مع المآذن التي تعود لنفس الفترة نستنتج أن هذه المئذنة تتميز بنفس خصائص المآذن الزيانية حيث استعمل الأجر في بنائها وكذلك نلاحظ أنهم وظفوا العقود لتزيين جزء العلوي لبدن المئذنة ، حيث زينت مآذن الزيانية بهذا النوع من العقود وهذا ما نميزه في مئذنة جامع أقادر بتلمسان التي بنية من طرف سلطان يغمراسن سنة 636ه ومئذنة مسجد سيدي أبي الحسن الذي بني سنة 696ه، الشبه الكبير في نظام البناء والزخارف أيضا باعتبار أن الزيانيين هم من استعملوا العقود في تزيين واجهات مآذنهم عكس المرنيين الذين لم يتبعوا نمط موحد في البناء إذ لبست واجهات المآذن بفاس بطبقة من الملاط وفي بعض الأحيان بنيت بالحجارة أو الأجر، عكس المتواجد في تلمسان حيث بنيت مآذنها بالأجر ما عدى مئذنة جامع منصورة التي بنيت بالحجارة، وكذلك زينت واجهات مآذنهم بالزليج .

أما الحمام وحسب النتائج التي استخلصنها فقد لاحظنا أنه من أول الحمامات المرينية نسبة لتاريخ بنائه سنة 696هـ، إذا لا يوجد حمام مريني بني قبله ولازال قائما،وفي تحليلنا لمخططه نجد أنه مزج بين التأثير المرابطي من خلال حمام ندرومة وكذلك تأثير الموقع الذي بني فيه، فجاء شكله مستطيل عمقه أكبر من عرضه نتيجة أن الجامع والمساكن والمدرسة تحيط به ما أدى إلى بنائها بهذا الشكل.

ما يلفت الانتباه في هذا الحمام هو طريقة تنقل المياه حيث بنيت قنوات تحت الأرض لربط بين القاعات ومصدر المياه، وكذلك ما يثير انتباهنا خلوه من الزخارف والدعامات، نتيجة للفترة التي أنشأ فيها إذ كانت الدولة المرينية في صراع، لكن رغم بساطته يعتبر الركيزة التي أدت إلى بناء العديد من الحمامات التي الحمام لنقل المياه بين القاعات من الفرناق إلى قاعات الاستحمام. حاليا هي غيرموجودة.

استنتاجات

تعد مدينة وجدة همزة وصل بين أهم حاضرتين في المغرب الإسلامي، فاس وتلمسان حيث عرفت هاتان المدينتين تطورا في مختلف المجلات أبرزها العمارة، وحسب المصادر قد بنيت قصبة مدينة وجدة في العهد المريني ومن أبرز العمائر نجد الجامع والحمام، حاولنا في هذا البحث الإجابة عن تساؤلات التي طرحنها وقد جاءت النتائج كالآتي:

يمكن أن يكون تاريخ بناء الجامع قبل الفترة المرينية حيث يرجح تاريخ إنشائه إلى العهد المرابطي وهذا راجع إلى عاملين الأول مخطط الذي بني بنفس المساجد المرابطية، والثاني موقعه خارج أسوار القصبة، فيما يخص نظام العقود والدعمات في الجامع فنجد أن البنائين والمهندسين اتبعوا نفس النظام العقود مسجد تازة مع بعض تأثيرات المرابطي في الزخرفة النباتية من خلال الإكثار من أوراق الأكانتس و زخرفة واجهة المحراب، والتأثير الموحدي في العقد المفصص الذي يزين المحراب إذ أن محاريبهم زينت بهذا النوع من العقود وكذلك العقد الشبيه بالمقرنص ثم وظف من طرف المرنيين فيما بعد.

بالنسبة للزخارف الكتابية فالبصمة المرينية واضحة من خلال نوع الخط المستعمل في تزين إطار المحراب، وتظهر بصمة الفن الأمازيغي المحلي في تداخل الفصوص وشكل بعض الزخارف النباتية المستعملة في تزيين واجهة المحراب، وكذلك الزخارف التي تزين واجهات البوائك.

أما المئذنة فقد غاب اسم المؤسس فيها ولم يبقَ إلا

RM2E - Revue de la Méditerranée

لها نفس التخطيط كحمام شالة والرباط وحمام المخفية بفاس، فيظهر تخطيط هذه الحمامات مستطيل الشكل مع الاختلاف في بعض العناصر.

Bibliographie

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب **روض القرطاس في أخبارملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، تحقيق كارل نوزنبرغ، دار الطباعة المدرسية، مدسنة أبو سالة.

ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط.

ابن خلدون عبد الرحمان، **كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، بيروت.

ابن مرزوق،**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**،دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ،شركة الوطنية لنشر والتوزيع،1981م.

ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تعليق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية.

ابن منظور الإفريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب، المجلد الثالث**، دار صادر بيروت.

البكري أبو عبيد الله، **كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة.

التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في** بيان شرف بني زيان، حققه و علق عليه محمود أغا بو عياد، الجزائر،2011م.

السلاوي أبو العباس احمد بن خالد، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**،تحقيق الأستاذان جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م.

المؤلف مجهول يلقب بالمراكشي،**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة ،العراق بغداد.

أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، **أخبار المهدي بن تومرة وبداية الدولة الموحدية**، دارالمنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971.

الوزان الفاسي حسن بن محمد معروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا، الجزء الثاني**، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي.

كربخال مرمول، **إفريقيا الجزء الثاني**، ترجمة محمد حاجي وآخرون، مطابع المعارف الجديدة.

المراجع

قدور الورطاسي، **معالم من تاريخ وجدة**، من سلسلة روائع الخالدين.

RM2E - Revue de la Méditerranée

المقري بدر، **مساجد وجدة العتيقة**،مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول ، وجدة.

المجلات

بن نعمان إسماعين، **صناعة للأجر والقرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي**، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب ،العدد ٤١.

الرسائل الجامعية

مصطفي مروان، **دراسة للمعالم الأثرية في مدينة ندرومة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية، قسم الثقافة الشعبية، 2004-2005م

المراجع باللغة الأجنبية

Rapport

Royaume du Maroc, Ministère des Habous et des affaires islamiques direction des mosquées, *travaux de restauration de la mosquée alaadam à Oujda*.

Études

Bourouiba, R., *L'art religieux musulman en Algérie*, Alger, Sned, 1981.

Golvin, L., *La madrasa médiévale*, Aix-en-Provence, Édisud, 1995.

Marçais G., *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, Arts et Métiers Graphiques, 1954.

Maslow, B., *Les mosquées de Fès et du nord du Maroc*, Paris, Les Éditions d'art et d'histoire, 1937

Maqri, B., *La grande mosquée d'Oujda l'image dans ses vergers mérinides*, Rabat Net, 2016

Saladin H.,« Les monuments d'Oujda », B*ulletin archéologique du Comité des Travaux historique , et scientifique,* 1910, p. 225-243.

Gilles S., « Oujda ou l'arrière-pays de l'économie transméditerranéenne », *Espaces et sociétés,* 2007/1 (n° 128-129). p. 171-184.

Terrasse Ch., *Médersas du Maroc*, Éditions Albert Morancé, 1928.

Terrasse, H. *La grande mosquée de Taza*, Paris, Les Éditions d'art et d'histoire, 1943.

Voinot L., *Oujda et l'amalat*, Imprimerie Typographique et Lithographique L . Fouque , Oran, 1912.

Pauty, E., « Vue d'ensemble sur les hammams de Rabat Salé », *Revue Africaine*, n°88, 1943, p. 202-226.

Terrasse, H., « Trois bains Mérinides du Maroc », *Mélanges offerts à William Marçais* par l'Institut d'Études Islamiques, Paris, 1950.

:ةينورتكلإا عقاوملا

Sites internet consultés

www.Dafina.net

www.Googelearth.com

http://Asirdabe.blogspot.com

www.Albordj.blogspot.com

RM2E - Revue de la Méditerranée